ألفاظُ التوجع وأساليبُه في الفصحى ولهجاتِها
دراسة في لهجة قبيلة أولاد طالب

أ. المختار عبدالله علاق الكيكط ـ جامعة الزنتان/ كُليّة الآداب/ الجوش

المُقدمة:

الحمدُ لله ربّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على أشرف الأنبياء والمُرسلين، نبيّنا مُحمّد وعلى آله وأصحابه أجمعين، ثم أمّا بعد:

فلقد أدت غلبةُ النطق العاميّ الدارجِ لبعض الألفاظ العربية نتيجةَ الابتعاد عن الإعراب والنحو وأصول اللُّغة، وغيرها من الأسباب، إلى خَلق انطباع عاميّ، يُوحي إلى أن بعضَ ما يَستخدمه الناسُ اليومَ من كلماتٍ في حياتهم العملية، ليس من العربية الفُصحى في شيء، وتُعدُّ تلك الألفاظُ من مفردات العاميّة، والصوابُ أنّها من صميم اللُّغة العربية الفُصحى.

فكثيرٌ من الألفاظ الدارجة بين العامة، هي في غالبيتها العظمى عربيةٌ فصيحةٌ، وجميعها متّصلٌ بشكل أو بآخر بأصله النحويّ أو الفصيح، إلاّ أنه مرّت عليه تغيُّراتُ اللّسان، واختلافُ الزمان، والاختلاطُ والتطورُ الحضاريُّ، فتغيّر صرفُه ولفظُه ومبناه، لكنه مازال عربياً ولغةً للعرب يُتخاطَبُ بها.

واللّسانُ العربيُّ اليوم ينطق بألفاظ كثيرة عربيةٍ فُصحى، ضمن كمية كبيرة من ألفاظ عاميّة يُعتقدُ أنها عاميّة مثلها، ولكن بالبحثِ والنظر في كتب اللُّغة والمعاجم، يظهر أنها فصيحةٌ تماماً، ويتم التواصل اللُّغويُّ من خلالها، وكأن أصحابها المُتكلّمين بها يتكلّمون العربية الفصحى تماماً.

ولقد جاء هذا البحثُ دارسا **ألفاظَ التوجُّع وأساليبَه في الفُصحى ولهَجاتِها، دراسة في لهجة قبيلة أولاد طالب**، إحدى القبائل العربية الليبيّة، من بين كثير من الألفاظ والأساليب الجاريةِ على اللّسان العربيّ، يُظنُّ أنها خطأٌ، وأنها عاميةٌ، فيما تُثبتُ الكتب القديمة أنها من اللُّغة الفصحى، ولم يتأثر بناؤها الأصليّ بأي تغيّر، وهي مُستخدمَةٌ إلى الآن على ما كانت عليه في القديم تماماً، مثلما جاءت في المعاجم العربية القديمة التي عرّفتها، وبيّنتها بالتفصيل.

أهمية البحث:

تكمُن أهمية البحث في الكشف عن بعض الألفاظ المُستعملة في اللّهَجات العامية ومدى ارتباطها بأصلها اللُّغوي، وذلك من خلال تتبُّع واستقراء هذه الألفاظ في المعاجم اللّغوية القديمة، ومقارنتها بما يستعمله الناس في اللّهجة العامية.

أهداف البحث:

تتمثل أهداف هذا البحث فيما يلي:

1. التعرّف على ألفاظ التوجّع المُستعملة في اللُّغة العربية الفُصحى.

2. بيانُ ما إذا كانت هذه الألفاظ باقية على أصلها في الاستعمال، أم حدث لها شيء من التغيير.

3. التعريف بإحدى القبائل العربية المهاجرة من خلال دراسة شيء من لهجتها العاميّة ومُقارنته بأصله العربي.

المنهج المستخدم:

بما أن هذا البحث يدرس ألفاظ التوجّع في العربية الفصحى ولهجاتها، فإن المنهج المُستخدم فيه هو المنهج الاستقرائي والمنهج المقارِن، حيث سيتم استقراء ألفاظ التوجّع وكيفية استعمالها في اللّغة ومُقارنتها باستعمالها في اللهجة العامية.

الدراسات السابقة:

من خلال بحثي ومُطالعتي البسيطة فإنه لم يظهر لي أن أحدا تناول هذا الموضوع بالدراسة والبحث بمثل هذا العنوان .

حدود البحث :

هذا البحث يدرس ألفاظ التوجُّع وأساليبه في العربية، واستعمالها في اللّهجة العامية، وقد اقتصر على دراسة هذه الألفاظ في لهجة قبيلة أولاد طالب، كونها إحدى القبائل العربية، ومقارنة هذا الاستعمال بالاستعمال اللّغوي الفصيح.

أولا ــ لفظ (أحّ):

يستخدم كثيرٌ من العرب لفظ (أحّ)، أو (آحّ)، عند الإحساس بالألم، وغالباً ما يُقال عند الإحساس بألم البرد القارس، أو عندما يشعُرُ بأيّ ألمٍ نتيجةَ الضرب، أو عندما يفرُك الشخص يديه فيقول: (أحّ)، ويكررها مرات، وكلمة (أحّ)، هذه من صميم اللُّغة العربية الفصحى.

يقول ابن فارس: " للهمزة والحاء أصلٌ واحد، وهو حكايةُ السُّعال وما أشبهه من عطَشٍ وغيظٍ، وكُلُّه قريبٌ بعضُه من بعضٍ، قال الكسائي: في قلبي عليه أُحاح، أي إحنةٌ وعداوة. قال الفرّاء: الأُحاح العطش. قال ابن دُريد: سمعتُ لفلان أُحاحا وأحيحا، إذا توجّع من غيظٍ أو حُزنٍ "[1]، "وأحّ: بفتح الألف وضمها والحاء المهملة، يدل على وجع الصدر، يقال: أحّ الرجل، إذا سعل"[2]، "وبعضُ الناس يقول عند الوجع (أخّ) بالخاء المعجمة, وكلام العرب (أحّ) بالحاء, وليس الخاء من كلام العرب وإنما هي لغة العجم"[3]، وأمّا ابنُ منظور في لسان العرب فإنه يُفصّل فيها فيقول: "أحَّ توجَّع. وأحَّ الرجل: ردّد التنحنح في حلقه، ويضيف: وقيل: كأنه توجّعٌ مع تنحنحٍ. وأحّ الرجل أحّاً: سعل"[4]. وفي القاموس المحيط: "أحَّ الرجلُ: سعَلَ. وأَحأَح زيدٌ: أكثرَ من قوله"[5].

وقد تحاشى الكثيرون من أصحاب المعاجم ذكر (أخّ) بمعنى التوجّع أو التأوه, في حين ورد ذلك في المعجم الوسيط على أنه اسم صوت يدُلُّ على التوجُّع والتأوُّه من غيظ أو حُزن[6].

وهذا اللفظ أو الأسلوب مُستخدمٌ في لهجة قبيلة أولاد طالب الآن تماما على ما هو عليه في اللُّغة العربية، فعند إحساس أو شعور الإنسان بالألم نتيجة تعرّضه لضربة ما، أو نتيجة تعرّضه لشيء يُؤلمه، فإنه مُباشرة سيتلفّظ بقوله: (أحّ)، إمّا يقولها مرّة واحدةً، أو يُكرّرها مرارا إذا كان الوجعُ قويًّا ومُؤلمًا.

كما أن لفظةُ (أخْ) كذلك مُستعملة عند الناس اليوم للتوجُّع، إلاّ أنها تُستعمل للتوجُّع المعنوي، وذلك عند الشعور بغيظ أو حُزن، في حين تُستعمل لفظة (أحّ) للتوجُّع الحسي، وذلك عند شعور الإنسان بألم ما في جسمه.

ثانيا ـ لفظ (أخّ):

قال الزبيدي: "أخ: كلمةُ تكرُّه وتوجُّع وتأوُّه من غيظ أو حُزن. قال ابن دريد: وأحسِبُها مُحدثة. الأخ والأخة لغة في الأخ والأخت، حكاه ابن الكلبي. قال ابن دريد: ولا أدري ما صحّة ذلك. وإخ: بالكسر: صوت إناخة الجمل. ولا فعلَ له، فلا يُقال أخختُ الجمل، ولكن أنخته. وإخّ بمعنى كخّ، أي في معنى الطّرح والزجر[7].

وهذه المعاني الثلاثة وهي: التكرُّه، والتوجُّع، والتأوُّه، معروفة ومُستعملةٌ في لهجة قبيلة أولاد طالب، ولها شواهدُ في الشعر العربي الفصيح، ومما جاء من الشواهد عليها، قول ابن دانيال الموصلي[8]:

أخوك هذا بديعٌ مُجاوزٌ كُلَّ وصف
لأنـــه أخُ أخٍّ وغيرُهُ أخُ نـــــفٍّ

حيث جمع بين المعنيين: بين الأُخوة والتكرّه، وهذا ما يدلُّ على استعمال لفظ (أخّ) للتكرُّه والتوجع.

ثالثا ــ لفظ (أوْهِ):

يُقال عند الشّكاية :أوْهِ من كذا، ساكنةُ الواو، وإنما هو توجّعٌ، ورُبّما قلبوا الواو ألفا فقالوا: آهِ من كذا ورُبَما شدّدوا الواو وكسروها وسكّنوا الهاء، قالوا: أوّهْ من كذا، وربّما حذفُوا الهاء مع التَّشديد فقالوا: أوِّ من كذا، بلا مدّ. والبعضُ يقول: آوّهْ، بالمدّ والتّشديد وفتحِ الواو مع سكون الهاء، لتطويل الصّوت بالشكاية. وقد ورد الحديث بـ(أوهِ)، وذلك في حديث أبي سعيد- رضي الله عنه- عندما ذُكر الربا عند النّبيِّ- صلى الله عليه وسلم- فقال عند ذلك: "أوْهِ عينُ الرّبا"[9].

قال ابن الأثير:"(أوْهِ) كلمةٌ يقولُها الرجلُ عند الشّكاية والتَّوجُّع، وهي ساكنةُ الواو مكسورةُ الهاء، والبعضُ يفتحُ الواو مع التّشديد، فيقولُ أوَّه، وفي الحديث: أوَّه لَفراخ محمد من خليفة يُستَخلفُ"[10]. "وربّما أدخلوا فيه التَّاء فقالوا أوَتاه، يُمدُّ ولا يُمدُّ. وقد أوّهَ الرجلُ تأْويهاً وتأوّه تأوُّها إذا قال أوَه، والاسم منه الآهةُ، بالمدِّ، وأوَه تأْويها. ومنهُ الدّعاءُ على الإنسان: آهةً لهُ وأوةٌ لهُ، مشدّدة الواو، وقولهُم آهةً وأميهة هُو التَّوجُّعُ"[11].

وهذا اللفظ مألوفٌ ومستعملٌ في لهجة أولاد طالب، ولم يطرأ عليه شيء من التغيير، فهو مُستعمل على ما كان عليه في القديم.

رابعا ـ لفظ (آهِ):

وهو حكايةُ المُتأَهّه في صوته، وقد يفعلهُ الإنسان شفقةً وجزعًا، قال ابنُ الأنباري: "آهِ من عذاب اللَّه وآهٍ من عذاب اللَّهِ وأهّةً من عذاب اللَّهِ وأوَهْ من عذاب اللَّهِ، بالتَّشديد والقصر، وقال ابن الْمُظفَّرِ: أوّهَ وأهّهَ إذا توجّعَ الحزينُ الكئِيبُ فقال آهِ أو هاهْ عند التَّوجُّعِ، وأخرج نَفَسَه بهذَا الصّوتِ ليتفرّج عنهُ بعضُ ما به ، وقال ابنُ سيدَهْ: وقد تأوَهَ آهًا وآهةً"[12].

وقد يُقال هذا اللفظُ عند التوجّع كذلك، وله شواهد كثيرةٌ في الشعر العربي، منها قول ابن المعتزّ[13].

آهِ من سَفرةٍ بغيـــــرِ إيـابِ ... آهِ من حسرةٍ على الأحبـــــابِ
آهِ مِن مَضجعي وحيدا فريدا ... فوق فرشٍ من الحصى والترابِ

وفي اللهجة العربية كثيرا ما يُستخدمُ هذا الأسلوبُ للتعبير عن التوجّع والحُزن، إلا أنه ليس مثل الأسلوب السابق وهو(أحّ) الذي يُقال عندما يشعرُ الإنسان بوجع حسي نتيجة

الضرب أو المرض أو ما أشبه ذلك، وإنّما يُقال هذا الأسلوب عند التوجّع المعنوي؛ أي عندما يفقد الإنسانُ شيئا ما، أو عندما تفوتُه فرصة ثمينة كان ينتظرُها.

وقد استعملت قبيلة أولاد طالب هذا اللفظ في التوجّع الحسيّ والمعنوي، فيقولونه عند الشعور بألم ما، كما يقولونه للتعبير عن الحُزن والتحسُّر على الشيء.

خامسا ــ لفظ (أهه):

"الأهَّةُ: التَّحزُّنُ. وقد أهَّ أهّاً وأهَّةً، وفي حديث معاويةَ: أهّا أبا حَفص؛ قال: هي كلمةُ تأَسُّفٍ، وانتصابُها على إجرائها مُجرَى المصادر كأنه قال أتأسّفُ تأسُّفاً، قال: وأصلُ الهمزة واوٌ، وترجم ابنُ الأثير واهٍ. وقال في الحديث: " من ابتُلي فصبر فواهاً واهًا "[14].

"قيل: معنى هذه الكلمة التّلَهّفُ، وقد تُوضعُ موضع الإعجاب بالشَّيءِ، يُقالُ: واهًا لهُ. وقد تردُ بمعنى التَّوجُّع، وقيل: التوجعُ يُقال فيه آهًا، قال: ومنه حديثُ أبي الدّرْداء ما أنكرتم من زمانكم فيما غيّرتم من أعمالكم، إن يكن خيرا فواهًا واهًا، وإن يكن شرّاً فآهًا آهًا؛ قال: والألف فيها غيرُ مهموزةٍ، قال: وإنما ذكرتُها في هذه التَّرجمة للفظها"[15].

وهذا اللفظ من ألفاظ التوجّع في العربية الفصحى كذلك، إلاّ أنه قليل الاستعمال في اللهجات العربية، وقد يُستعمل للتلهُّف أو الإعجاب بالشيء، وأحيانا يُستعمل للشكاية من كثرة الوجع.

واستعمال هذا اللفظ في لهجة قبيلة أولاد طالب قليلٌ، وإن استُعمل فإنه يُستعمل للدلالة على شدّة الوجع والألم، فيكرّره المتوجّع بهذا اللفظ أحيانا بهذا اللّفظ (أههه).

الخاتمة :

وفي الختام يمكن القول إنه من خلال البحث والدراسة تبيّن أن كثيرا من الكلمات في بعض اللَّهجات العربية الدارجة ما زالت تحتفظ بذات المعنى واللّفظ الذي كانت عليه في المعاجم القديمة، إلا أن غلبة اللّفظ العامي، وما يُعرف باللّحن، جعل البعضَ يظنُّ أن كثيراً مما يُستخدم من كلمات اليوم هي عامية، فيما تُبيّنُ الحقيقةُ أن الأغلب الذي يجري على اللّسان العربي الآن، هو أقرب إلى اللُّغة العربية الفصحى، بل هو من صميم اللُّغة العربية، مع تغيّر في بعض الألفاظ يفترضه التطور والتغير والاختلاط، بتحريك الكلمة حين لفظها، أو بتغيير في بنائها، فيبتعد بعضها جزئياً عن أصله النحوي والمعجمي، إلا أنه لا يفقد الصلة به مطلقاً.

وفي نهاية البحث يمكن استخلاص بعض النتائج منها ما يأتي:

1. إن ألفاظ التوجُّع ما زالت باقية على ما هي عليه من حيث الاستعمال في لهجة قبيلة أولاد طالب.

2. إن دراسة اللّهجات العامية ومقارنتها بأصولها العربية فيه فائدةٌ لغوية، حيث إنها تشُدّ انتباه الدارس، وتزيد من ثروته اللّغوية.

3. إن دراسة اللهجات فيه بيان لأصول الكلام العربي، فعلى الرغم من اعوجاج اللّسان العربي، إلا أنه مازال مُحتفظا بكثير من الكلام الفصيح.

4. من خلال دراسة ألفاظ التوجّع وأساليبه تبيّن أن استعمالَه في العامية هو استعمال عربي فصيح، على عكس ما يظنُّه الكثير من أنه استعمال عامي.

الهوامش:

1. ابن فارس، أحمد بن زكريّا. (1979م)، معجم مقاييس اللغة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، مادة: (أحّ)
2. الجرجاني، علي بن محمد. بـ تـ، التعريفات، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهر، ص13.
3. الجواليقي، موهوب بن أحمد. (2007م)، تكملة إصلاح ما تغلط فيه العامة، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، دمشق، ص124.
4. ابن منظور، محمد بن مكرم. (2003م)، لسان العرب، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مادة: (أحّ)
5. الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب. (2005م)، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط8، بيروت، لبنان.، مادة: (أحّ).
6. مجمع اللُّغة العربية، (2004م)، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، مصر، مادة: (أخْ).
7. الزبيدي، محمد بن محمد. (1965م)، تاج العروس من جواهر القاموس، دار التراث العربي، مادة: (أخ).
8. الموصلي، ابن دانيال. ديوان ابن دانيال الموصلي، من شعراء العصر المملوكي، بوابة الشعر، الرابط:poetsgate.com
9. النيسابوري، مسلم بن الحجّاج. (1427هـ)، صحيح مسلم، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط1، الرياض، ص748.
10. ابن الأثير، المبارك بن محمد. (1421هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ط1، المملكة العربية السعودية، ص53.
11. الزبيدي، تاج العروس، 1965م، مادة: (أوه).
12. ابن منظور، لسان العرب، 2003م، مادة: (أوْه).
13. ابن المعتز، عبدالله. بـ تـ، ديوان ابن المعتز، مطبعة الإقبال، بيروت، ص93.
14. ابن منظور، لسان العرب، 2003م، مادة: أهه
15. ابن منظور، لسان العرب، 2003م، مادة: (أهه).